

منزلة الصلاة وأهميتها في المجتمع



«حظيت الصلاة في هذا الدين بمكانة عظيمة ومنزلة رفيعة لا تعدلها أية عبادة أخرى، فهي دعامة وركنه وشعيرته ومظهره الخالد وآيته الباقية، والصلاة عماد الدين، وأوّل ما يسألنا عنه ربّ العالمين، فهي مفتاح الحساب، والواقية من العذاب، في الدنيا وتحت التراب، ويوم القيامة حين يقوم الحساب ويقوم الجزاء والعقاب، وهي بعد راحة للبدن وراحة للبال، وهذا ما نستشفه من خلال الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث الواردة عن أهل بيت العصمة عليهم الصلاة والسلام:

1- المكان الذي فُرضت فيه:

هي تلك العبادة التي عندما أراد الله فرضها لم يُرسل ذلك مع جبريل (ع) ككلّ الفرائض الأخرى، ولكنه أسرى بنبيه الأكرم ورسوله الأعظم (ص) إلى بيت المقدس ثم عرج به إلى السموات العلى وخاطبه سبحانه، في ذلك المقام الشريف، وفوق تلك السموات فُرضت هذه الشعيرةُ العظيمة التي اختصها الله من

بين سائر شرائع الإسلام بذلك حيث إنَّ المصطفى تلقى الأمر بها من الله تعالى مباشرة، فأى مكانة ومنزل تلك؟! وأي شأن ذاك لهذه الصلاة؟! ولا غرابة حينئذ أن يقول عنها خاتم الأنبياء (ص): "إنَّ الله جعل قُرْآنَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ".

2- رأس مال المسلم وعروة الإسلام:

الصلاة دعامة لجميع الشرائع السماوية، فهي أقدم عبادة، ولأنَّها من مستلزمات الإيمان لم تخل منها شريعة من الشرائع من الشرائع، ولم تنسخ فيما نسخ منها؛ إذ لا خيرَ في دين لا صلاةَ فيه، ولأهمية الصلاة وكبير مكانتها في الإسلام جعلها الله حدًّا فاصلاً بين الكفر والإسلام، فقال جلَّ شأنه: (فَلْيَايُنْزِلُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَاخَوْا نُكُومًا فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) (التوبة/ 11).

3- أحبُّ الأعمال إلى الله تعالى:

قال مولانا الإمام الصادق (ع) قال أمير المؤمنين (ع): "ليس عمل أحبَّ إلى الله عزَّ وجلَّ من الصلاة، فلا يشتغلنَّكم عن أوقاتها شيء من أمور الدنيا، فإنَّ الله عزَّ وجلَّ ذمَّ أقواماً، فقال: (الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ) (الماعون/ 5) يعني أنَّهُم غافلون استهانوا بأوقاتها".

يُشير حديث الإمام (ع) إلى موقعيّة الصلاة، وأنَّها أحبُّ الأعمال إلى الله عزَّ وجلَّ، فمن أراد رضا الحبيب حافظ على صلاته ولم ينشغل عن لقاء الله عزَّ وجلَّ بالأمور الماديّة والدينيّة.

4- أفضل وسيلة لذكر الله تعالى:

يُشير الله سبحانه في الآية الكريمة: (إِنِّي أَنزَلْتُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ إِذَا تَوَلَّى سَاجِدًا فَتَعْبُدُنِي

وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (طه / 14) إلى واحدة من أهم أسرار الصلاة، وهي أن الإنسان يحتاج في حياته في هذا العالم، إلى عمل يُذكره بالقيام والقيامة ودعوة الأنبياء وهدف الخلق في فترات زمنية مختلفة، كي يحفظه من الغرق في دوامة الغفلة والجهل، وتقوم الصلاة بهذا الوظيفة المهمة.

فمع توزع الصلوات الواجبة على أوقات اليوم المختلفة فإن العبد يغسل بها غبار الغفلة الذي استقر على قلبه. ومن هنا يقول الله سبحانه لنبيه موسى (ع) في أوّل الأوامر في بداية الوحي: (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي) (طه / 14)، وفي آيات أخرى نقرأ: (أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) (الرعد / 28) و(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّخِذُوا الصَّلَاةَ أَكْفَافًا لِيَذْكُرُوا أَنَّهُمْ يُخَوَّلُونَ الْجَنَّةَ وَلِيَتَذَكَّرُوا أَلَّا يَكُونُوا مِنَ الْخَالِدِينَ) (البقرة / 238) و(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبُخْلِ وَلْيَقْبَلُوا بِهَا لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْعَذَابُ أَلِيمٌ) (البقرة / 264) و(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا أَمْوَالَكُمْ الَّتِي رَزَقْنَاكُمْ مِمَّا دَخَلَ فِيهَا زَوَاجِرٌ فَلْيُتَوَكَّلْ عَلَيْهَا فَيَكُونَ عَمَلَ قُلُوبِكُمْ كَمَا أَكَل الشَّجَرُ أَكْثَرُ ثَمَرًا) (البقرة / 267) و(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا أَمْوَالَكُمْ الَّتِي رَزَقْنَاكُمْ مِمَّا دَخَلَ فِيهَا زَوَاجِرٌ فَلْيُتَوَكَّلْ عَلَيْهَا فَيَكُونَ عَمَلَ قُلُوبِكُمْ كَمَا أَكَل الشَّجَرُ أَكْثَرُ ثَمَرًا) (البقرة / 267) و(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا أَمْوَالَكُمْ الَّتِي رَزَقْنَاكُمْ مِمَّا دَخَلَ فِيهَا زَوَاجِرٌ فَلْيُتَوَكَّلْ عَلَيْهَا فَيَكُونَ عَمَلَ قُلُوبِكُمْ كَمَا أَكَل الشَّجَرُ أَكْثَرُ ثَمَرًا) (البقرة / 267).

فإذا جعلنا هذه الآيات الثلاث جنباً إلى جنب فسنفهم جيداً أن الصلاة تُذكر الإنسان بالله، وذكر الله يجعل نفسه مطمئنة، ونفسه المطمئنة ستوصله إلى مقام العباد المخلصين والجنة الخالدة.

5- أفضل وسيلة لمواجهة الشدائد:

كان الأنبياء (عليهم السلام) يفرعون إلى الصلاة عند الشدائد والمكائد، وقد أمر الله نبيه الخاتم (ص) بالصبر والمحافظة على الصلاة: (وَلَقَدْ زَعَلْنَا أَنْزِلَكَ بِالضُّيقِ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَاسْتَبِرْ وَاصْبِرْ رَاجِعًا إِلَى رَبِّكَ وَلَا تُكِنُّ مِنْ السَّاجِدِينَ) (الحجر / 97-98).

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) (البقرة / 153)، ويقول عز من قائل: (وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ * الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّ اللَّهَ مَعَهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ بِهِمْ عَلِيمٌ) (البقرة / 45-46)، الأمر الإلهي بالاستعانة بالصبر والصلاة خير دليل على أهمية وموقعية الصلاة في مواجهة الشدائد والتغلب عليها.

تُعتبر الصَّلَاةُ أفضل الفرائض، وخير الأعمال التي تُثقل الميزان يوم القيامة فقد روى مولانا الإمام جعفر بن محمد الصادق عن آبائه الكرام، عن عليٍّ (عليهم السلام) قال: "قال رسول الله (ص):
"نَجِّوا أَنْفُسَكُمْ أَعْمَلُوا وَخَيْرُ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةُ"، وروى جدُّه الإمام الصادق عن آبائه الكرام،
عن عليٍّ (عليهم السلام) قال: "قال رسول الله (ص): الصَّلَاةُ مِيزَانُ أُمَّتِي مَنْ وَفَّى اسْتَوْفَى". ►

المصدر: كتاب بغير حساب (سلسلة الحياة الطيبة)